

مجلة المجلات

للأب توتل اليسوعي



مكتبة الفاتيكان - الاسلام والغلاة - سد زلزل واخلاق الدينية - الوطنية الصامتة
هل من عقل للبهائم ؟

مكتبة الفاتيكان

يرق عهد مكتبة الفاتيكان الى عمود البابوية الاولى ؛ لكنها لم تدخل في طورها التاريخي المرسوم إلا لما وضع لها البابا مرتينوس الخامس (١٤١٧-١٤٣١) نظامها الخاص ، فاخذت تردد وتنسج ، فكان فيها من المخطوطات اللاتينية واليونانية ثلاثة آلاف وخمسة مئة في أيام البابا سكوتوس الرابع (١٤٣١-١٤٨٤) اما في يومنا فيبلغ عددها المئتين ألفاً .

ومكتبة الفاتيكان مفتوحة دوماً للرؤساء وللمطالعين ، فالرؤساء يصدونها من وجوه البائسين ، ينازفون اليها قاعات منشاء الجدران يبدائع التصاوير معروضة فيها المخطوطات النادرة اشينة مع البدايا التي انعم بها الملوك الاحبار الاعظمين على مدى الدهور . اما المطالعون فيجدون في قاعة واسعة نيرة كل ما يحتاجون اليه للنظام بها .

وقد شاخت المكتبة الفاتيكانية على رحبها بمحتوياتها الجلية . فهم الأب الاقدس البابا بيوس الحادي عشر بتوسيعها ، وغيرته عليها مشهورة لان امرها كان مودداً اليه قبل ان يرق السدة البطريركية . فحدثت مجلة الهلال قراءاً في هذا الموضوع وقالت (نبرابر من ١٩٦٦)

« ان قداسة البابا قد امر بتنظيم مكتبة الفاتيكان واوفد الى اميركا بعثة لدرس التنظيمات الحديثة في المكاتب لكي يعمل بها في مكتبة الفاتيكان نفسها فيجد فيها الباحثون من العلماء في مختلف منطوطاتها ومطبوعاتها ما يكشف

لهم عن التاريخ القديم وخاصة تلك الفترة التي تقع بين القرن الاول للميلاد وقرن النهضة.

ونحن هنا في مصر بل في العالم العربي كله يجب ان نهتم لهذا المشروع فان في مكتبة الفاتيكان نحو ٣٥٠٠٠ [بل ٥٠٠٠٠] مخطوط منها عدد غير قليل من الكتب العربية القديمة التي لا يوجد مثالا في العالم كله . ويجب ان نذكر ان الكتب العربية طبعت لأول مرة في التاريخ في ايطاليا وربما كان باباوات رومية اول من طبعوا كتاباً عربياً في العالم .

ويسأل صاحب المقال هل يؤول كشف اسرار المخطوطات القديمة الى ما ينبغي . مارفنا من خطط التاريخ المسيحي . فتعجب انه لم يظهر 'ولن يظهر' مخطوط 'ينفي حقيقة وجود نابوليون بوناپرت لاحقا ثابتة ثباتاً علمياً في جوهرها وان اختلف المؤرخون في رواية بعض امراض حياته . وكذلك لا سبل الى الناقصة في صحة ما اتفق عليه المؤرخون المنصون من الحقائق التاريخية الشهود لها شهادة لا رب فيها كحياة السيد المسيح الاله الانسان . فان كل ما ظهر من دلائل الآثار القديمة يزيد تلك الشهادة قوة ومصداقاً .

وقد تراخى صاحب الهلال فيما قاله عن مقاومة الكنيسة للطبعة عند ظهورها وكلامه منافض للحقيقة . واليك ما قاله البابا لاون التاسع (١٥١٣-١٥٢١)

« المطبعة هي النعمة التي اهدتنا السماء الى الارض ، والتي ادت للجنى البشري وللكنيسة منافع جمّة جسيمة اذ بها تصبح الكتب قريبة المثال من الخاصة والامة فتشور العقول وتثقف الاذهان وتقدم السبل الى نشر تعليم الايمان وهداية النفوس »

هل ان بعض الذين تولوا شؤون المطابع استعملوها آلة للفساد والضللال فلا عجب ان وضع الباباوات قوانين لنشر الكتب انتقاءً من شرّها ونعم ما فعلوا . وهذا عين ما تفعله الحكومات المائعة في ايامنا

الاسلام والخوف

وصفت المناوئ لمكاتيب (نوفمبر ١٩٢٧) حالة الاسلام 'فاطرات فضائله في الانسان والسران' وذكر ان ما امر به وما حدث عليه . وما انتهى اليه الامر من تفرق كلمة المسلمين وتخاذلهم الى ان تكلمت في امر الخلافة فروت اولاً اقتراح المحرر قال :

« بيتا ترى تركية قد ادبرت صفّاً وشفتت بظواهر التبريين اذ بايطالية ترسل

عقاربها باليمن وانكثرة تحاول ان تخادع ابن سعود وتظفر به ٠٠٠ يجب
— الاسراع في تنصيب خليفة المسلمين الذي يكون بالانتخاب كما كانت

الطريقة المتبعة لدى الخلفاء الراشدين الاربعة لا بطريق الذرية والوراثة

— ان يكون المرشحون للخلافة من اساطين العلماء الجهابذة ذوي البعيرة
على ان يكونوا من ذري الجد والهيم والارادة القوية والعزيمة الماضية، الداملين ،
المتأزمين بماضيهم المجيد المعروف ، وكفائتهم الشخصية ومقدار ثقة الشعوب فيهم
من سائر الممالك الاسلامية على السواء .

— ان يكون مقر الخليفة القاهرة ويكون مجرداً من السلطة الاجنبية او
في اي قطر مستقل وان يسري نفوذه الديني لدى جميع المسلمين على نص
الشرع والسنة

— ان يكون للخلافة مجلس اعلى يستى مجلس الخلافة يتقدم في اوقات
مخصصة معينة برئاسة الخليفة ويكون له عن كل قطر اسلامي نائب او اكثر
للنظر في شؤون الاسلام والمسلمين المادية والمعنوية »

فاجاب صاحب المنار على ذلك الاقتراح وقال :

« ان كل جملة من رسالتكم تدل على معرفتكم بحال اممكم وعصرهم الا
هذه الاقتراحات في الخلافة ، من ذا الذي ينصب الخليفة ؟ من ينتخبه ؟ من
يرشح جهابذة العلماء ذوي البعيرة للانتخاب ؟ اي مملكة ترضى ان تكون مقراً
لخليفة منتخب غير ملكها او اميرها ؟ اما قرأت يا اخي ما كتبت الجرائد
المصرية من الطعن بمؤتمر الخلافة والسخية من كبار العلماء تأليف هذا المؤتمر ؟
اما سمعت صياح ملاحدة مجلس النواب في انكار صرف مبلغ حقير من
الاوقاف الخيرية على هذا المؤتمر اتباعاً للملاحدة جريدة السياسة ؟ »

سعد زغلول واخلاقه الدينية

وخصم بقالة سعد باننا زغلول فقال :

« ان سعداً دخل في اطار التفرنج في معيشته وافكاره الاجتماعية

والقانونية وقلبت نزع الوطنية المصرية عنده على فكرة الجأمة الإسلامية ... ولا تعلم انه كان يذهب الى المساجد الا في بعض الاحتفالات الرسمية في عهد وزارته وبعض صلوات الجمعة في زمن زعامته ، وانكر عليه اهل الدين اموراً منها عمله في تجربة النساء على السفور المتجاوز للحد الشرعي ولكنه قاوم الدعوة الى لبس البرنيطة .»

الوطنية الصامتة

نعم تحت هذا العنوان بعض ما انتظناه من مقال في مجلة الكشف ، موقع باسم الآنة مبرة سلام ، وفيه وصف شائق لبلاد الانكليز :

الحرية الشخصية « ممنوحة فيها باوسع معانيها لكل انسان ما دام لا يخل بالنظام ولا بالآداب العامة ولا بالامن

والعمل منظم : تدخل محطة القطار فتجد الناس يتراكمون الى شباك التذاكر ، حتى اذا اربوا على اثنين او ثلاثة الفوا صفاً يقف في مؤخره دائماً القادم الجديد ولا يحطرون في باله ان يحاول التقدم على سابقه فيها كان باعته شديداً ، ولا تجد ازدحاماً على اسرها يكن تافهاً الا الف الصف حالاً كأنه بإشارة مدرسية خفية

ومن تهذيبهم الراقى ان بائع الحليب يمر على الابواب ويترك مطلوب كل بيت من زجاجات الحليب مملوءة دون ان يطرق الباب ودون ان يخاف عليها السرقة او التحطيم بل اعظم من ذلك ان تدخل بيتاً جامماً لسكان مختلفين فتجد طاولة امام باب المدخل عليها قائمة كل منهم لحساب الفيل وقد وضع كل الدراهم المطلوبة منه فوق قائمته دون ان يحظر في باله التحفظ من سرقتها او من سوء امانة مستلمها

ومن وطنيتهم الصامتة ان الامة باجمها تسند الحكومة بذراع متين اذ انه لا اضرب العمال واعتصبوا وشلت يد الحكومة في جميع انحاء البلاد وتعطلت حركة السير تقطع الشبان لخدمة البوليس ووضع كل صاحب سيارة نفته وسيارته تحت اشارة الشعب واستلمت الفتيات النيالات ادارة توزيع الاعاشة . وهل ادل على هذه الوطنية الصامتة من تلك التبرعات الدائمة بارقام ضخمة

للخزينة دون ان يذكر فيها اسماء ؟ ان الضرائب تجبي — وكل انسان يتحمل من الضريبة — فيتلقي وزير المالية كل يوم مبالغ عظيمة وظيفته من مجهولين يمتدون ان هنالك خطأ في الحساب المتوجب عليهم فهم يحددون ما بذمهم من دين مفروض وان زوجة رئيس بلدية لندن ترسل نداء تستلدي به الاكف لمساعدة البائسين يهدايا صالحة لميد الميلاد فيأتيها في خمسة عشر يوماً ثلاثون الف هدية عدا ما جاءها من اموال كنت اشهد هذه المشاهد كل يوم فتبتاني رجفة اسي على بلاد تمة اتسمي اليها ، لا تنقه فيها للوطنية معنى ...»

هل من عقل للبهائم ؟

في هذا العصر الجديد 'عصر المجازب والثرائب' 'عصر الطيارات والتلفون اللاسلكي' 'عصر الاخاء والمساواة' لماذا لا ينحني ابن آدم على الحيوان ويصافحه اذا وجد فيه تلك المزايا البشرية التي تقربه الى الانسان ؟ اذا اكتشف في حركته 'وامتنتج من اصواته' او من تكثير انبائه ما يتم من عقل ؟ تلك هي النتيجة المزدري اليها مقال المتتصف في الكلب الذي يظم القراءة :

هذا الكلب لم يفتأ ان يظهر علامات الذكاء المختصة بابن آدم . هذا الكلب هو اليف من الكلاب الصغيرة التي لها شعر طويل جمد وهي مشهورة بشدة نباهتها ، تعلم ان يميز بين الاوراق المكتوب عليها باحرف كبيرة كلمات الاكل والشرب فيا له من كلب قايضة . يمرض حاجته الى الطعام والشراب بوزقة مميته مكتوبة يبعثها الى صاحبه . فلتخفل دونه سائر الكلاب وخاصة تلك الكلبة من الكلاب الكبيرة التي كانت ترى هذا الكلب يبلب التطلع من البردق ويعطى الطعام فلم يخطر ببالها ان تقل فعله مع اخا رأت فعل ذلك مراراً لا تحصىه تباً لها من كلبة مجباء .

اما اللال فلا ريب منه ان الجواد يضحك ، والقطبة تضحك ، والنقمة تضحك ، والشبثري تضحك ، والكلب يضحك ، واذا خابك ادنى ريب في صحة زعمه فحبك النظر الى الصور التي يشرها وهي تبين تلك البهائم ضاحكة وان اعترضت قائل أن الضحك هو مزية ابن آدم الخاصة الدالة على النفس الناطقة . . اجابك نعم ولكن كان ذلك في الصور القديمة المتهقرة — اما الان ونحن في عصر التور والمساواة فلا محجب بان تحاكي البهائم البشر عقلاً وذكاء .

